أنت غداً بينهم

إعداد/ أبي عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، الحي القيوم المتفرد بالبقاء والدوام، القائل في محكم التنزيل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [سورة آل عمران:٢]، كتب على جميع الخلق الفناء، وتفرد وحده بالبقاء، لا راد لقضائه، يقول للشيء كن فيكون ولا يكون في الكون إلا ما يريد سبحانه.

حـــــي وقيـوم فـلا يـنـامُ وجـلَّ أن يشـــبـهـه الأنـام
بـاقٍ فـلا يـفـنـى ولا يـبـيـدُ ولا يـكـون غـير مـا يـريـد

والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، أعرف الخلق بربه جَلَّجَلَالُهُ نبينا محمد بن عبدالله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبته الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

أخي الكريم: ألستَ في نعمة وعافية؟

أليس تتقلب في النِعم صباح مساء؟

كم أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليك؟

كم تفضل بالنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة إبراهيم:٣٤]؟

أليس لكل رجل مسكن يأوي إليه، وأموال يتقلب ويتصرف بها، وزوجةً حسناء، وفرش وفير، وطعام وفير، وماء بارد؟

فهل فكرت يومًا من الأيام أخي العزيز بأنك:

- ستفارق الأحباب والأولاد والزوجات؟
- ستفارق كل ما تملك ولا بد؟
- ستُخْرج من بيتك مجردًا من الأموال؟

اجلس مع نفسك، وتأمل حالك! وتأمل في بعض من سبقك فأنتَ ليس الأول وليس الأخير.

حاول أن تحاسب نفسك، حاول أن توقظها من غفلتها، لا تيأس أيها المفرط وكلنا ذاك.

لا تيأس أيها المقصر وكلنا مقصرون، ولكن حسبنا أن يذكر بعضنا بعضا.

أحب الناس إليك سيُسلمك إلى الدود، في تلك الحفرة الضيقة المخيفة.

ستُنقل من هذه الدار (الحياة الدنيا) ولا بد إلى دار في بطن الأرض، إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، فالقبر هو أو منزل من منازل الآخرة.

أخي الحبيب:

هل تأملت قول الله سبحانه الملك الحق المبين: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرحمن:٢٦-٢٧].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨٥].

فمهما طال عمرك فإن الموت طالبك ولا بُد، قال الشاعر:

إنما الدنيا فناء ... ليس للدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت ... نسجته العنكبوت
ولقد يكفيك منها ... أيها الطالب قوت

ولعمري عن قليل كل من فيها يموت[1].

أخي الكريم: ليس القصد من كتابة هذا المقال التخويف والتهويل، ولكن كتبته تذكرةً لنفسي أولًا ثم لمن اطلع عليه، عسى الله أن ينفع به قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ [سورة الأعلى:٩-١٠]، وكان الدافع لاختيار هذا العنوان: (أنت غدًا بينهم)، أنني في يوم من الأيام استوقفتني هذه العبارة، وشعرت بأنني أن المخاطب بها وهو كذلك، فأنا وأنت وأنتِ وأنتم وهو وهي وكل الخلق غدًا ليس بالتحديد يوم غدٍ ولكن لحتمية الوقوع في المستقبل.

هذه العبارة كُتبت على سور مقبرة كبيرة في صنعاء، قرأتها وشعرت بأن من كتبها يخاطبني فكان هذا سببًا لهذا العنوان: (أنت غدًا بينهم).

فمنهم هؤلاء؟

هؤلاء منهم أحبة وأصحاب، هؤلاء قد يكون آباء وأمهات وإخوة وأخوات، هؤلاء منهم الأقارب والجيران، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) الدر الفريد وبيت القصيد، لمحمد بن أيدمر (٩/ ٧١)، والكشكول، لبهاء العاملي (٢/ ١٧٦).

"وأي موعظة أبلغ من أن ترى ديار الأقران، وأحوال الإخوان، وقبور المحبوبين، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك؟!

وهذا والله شأن الحمقى! حاشا من له عقل أن يسلك هذا المسلك.

بلى والله، إن العاقل ليبادر السلامة، فيدخر من زمنها للزمن، ويتزود عند القدرة على الزاد لوقت العسرة، خصوصًا لمن قد علم أن مراتب الآخرة إنما تعلو بمقدار علو العمل لها، وأن التدارك بعد الفوت لا يمكن، وقدر أن العاصي عفي عنه، أينال مراتب العمال؟!"[1].

والسؤال أخي الحبيب:

هل مررت بدار من تلك الدور التي تراها ولك فيها أحبة وأصحاب، ساكنة مظلمة لا سراج لهم فيها، هل تفكرت في حالهم؟

هل فكرت في زيارتهم؟

هل خرجت لزيارتهم في الليل لأخذ العبرة والعظة؟

هل سألت نفسك:

---

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص:٣٣٥).

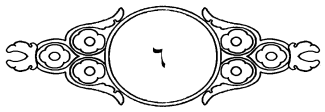

ما حالهم؟

كيف هي أجسادهم؟

ما حاجتهم؟

لو ذهب إنسان منا إلى تلك الدور في ظلام الليل، وجلس بينهم، وتفكر في أحوال تلك المنازل التي لا أنيس ولا جليس فيها إلا العمل الذي قُدم، وتفكر في يوم نقلته من هذه الدار، عندما ينادي أقرب قريب:

أسرعوا بدفن الحبيب، لا بقاء له بيننا فإكرام الميت دفنه.

فيُجرد من الثياب، ويسكب عليه الماء، ثم يلف عليه الكفن، ويحنط بالحنوط، ثم يحمل على الأكتاف، تأمل تلك اللحظات حين تسمع الأبناء والبنات يبكون، والأم تكفكف دمعها، والزوجة تصيح، الدموع على الخدود تسيل، والحزن قد خيم على الجميع، والبعض منهم قد ينقل إلى المشفى من هول صدمة الفراق.

ولدتك أمك باكيًا مستصرخــًا والناس حولك يضحكون سرور

فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكًا مسرور[1].

ثم يُحمل على الأكتاف وتُخرج من بيت عشت فيه سنين مع أبناء وزوجات وآباء وأمهات، تأمل حالهم؟ وتأمل حالك؟

فأنت إما تنادي: قدموني قدموني، فرحًا مسرورًا بما أنت قادم إليه.

أو تقول: يا ويلها أين تذهبون بها كما أخبر بذلك سيد الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق**»[2].

ثم يُصلى عليه، ويُحمل إلى البيت الجديد الذي انتقل إليه من بيته القديم، فيفترش التراب بدلًا عن الفراش الوفير، ويصف عليه اللبن، ويهال عليه التراب، فيُلقى هناك، ويتخلى عنه الأهل والأحباب، ثم

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (٢/ ٥٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب كلام الميت على الجنازة، برقم (١٣٨٠).

يقوم من يحبه بعد الدفن فيقول: أُدعوا لأخيكم فإنه الآن يُسأل، ثم يسمع قرع نعالهم حين يولون عنه، فيتركونه وحيدًا فريدًا في ظلام القبر، فيأتيّ الملكان فيسألانه:

من ربك؟

وما دينك؟

ومن نبيك؟

فإن كان صالحًا وُفق في الإجابة، وإن كانت الأخرى تلعثم ولم يجب، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٧].

ثم تبدأ الدود بالتسابق لنهش الخدود، وتتساقط الأنامل والعيون، ويتبدل الجلد الحسن، ويصير جيفة هامدة، ويفتح له بابًا إلى الجنة أو بابًا إلى النار، فينادي منادٍ من السماء لمن وفق للإجابة عن الأسئلة التي قُدمت له كما ثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ

مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ».

قال: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الذي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي».

وينادى مناد من السماء لمن لم يُجب عن تلك الأسئلة ويقول: هاه هاه لا أدري كما في الحديث: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، برقم (١٨٥٣٣)، والحاكم في المستدرك، برقم (١٠٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (١٢٠٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٦٧٦).

فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

القبر أخي الحبيب: بيتك الجديد، وليت شعري كيف حالنا مع بناء هذا البيت؟

لا زالت لنا فرصة لتدارك التفريط والتقصير في حق الله عَزَّوَجَلَّ، بخلاف من سبقنا إلى تلك الدور، فإنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا للعمل الصالح ولكن هيهات لهم ذلك، يقول محمد بن أبي رجاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا ... فَسَوْفَ يَوْمًا عَلَى رَغْمٍ يُخَلِّيهَا

لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ ... إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا

فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ كَانَ مُغْتَبِطًا ... وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا

وَالنَّفْسُ تَرْجُو أُمُورًا لَيْسَ ... وَالْمَوْتُ دُونَ الَّذِي تَرْجُو

لَا تَشْبَعُ النَّفْسُ مِنْ دُنْيَا ... وَبُلْغَةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ يَكْفِيهَا

فَاغْرِسْ أُصُولَ التُّقَى مَا شِئْتَ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ

أخي الكريم: أما لك فيمن مضى عبرة وعظة؟

---

(١) الإشراف في منازل الأشراف، لابن أبي الدنيا (ص:١٧١).

ينبغي لـ "لمؤمن إذا رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر، وإن رأى مؤلمًا ذكر العقاب، وإن سمع صوتًا فظيعًا، ذكر نفخة الصور، وإن رأى الناس نيامًا ذكر الموتى في القبور، وإن رأى لذة، ذكر الجنة؛ فهمته متعلقة بما ثَمّ -يعني بما في الآخرة-، وذلك يشغله عن كل ما تم"(١).

أخي الحبيب: أما ينبغي لنا تدارك العمر قبل فوات الأوان، وقبل الحسرة والندم، قبل أن نقول: رب ارجعون، فيقال: كلا!

تأمل قول الملك الحق جَلَّجَلَالُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [سورة المؤمنون:٩٩-١٠٠]، إذا جاء الموت انتهى كل شيء، ليس لك إلا ما قدمت، قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يخبر تعالى عن حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها وإنما ذلك يقول: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ من العمل، وفرطت في جنب الله.

---

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص:٤١١).

﴿كَلَّا﴾ أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضا غير صادق في ذلك، فإنه لو رد لعاد لما نهي عنه.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشيئين، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبته"[1].

والعجب أيها الأحبة: إننا على يقين بأن الموت نهاية كل شخص منا، وأن الإنسان إذا جاء أجله لا يمكن أن يؤخر لحظة من الوقت ليستدرك بعمل صالح ينفعه، ومع ذا لم نرى من يستعد للموت.

ونعلم أن الجنة في الآخرة مصير كل موحد مؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ، سارع وسابق بالأعمال الصالحة، الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، الجنة هي دار المتقين، نعيم مقيم لا يزول ولا

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٥٩).

يحول، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الرعد:٣٥].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة محمد:١٥].

وربنا جَلَّ جَلَالُهُ ما يذكر النار في القرآن إلا ويتبعها بذكر شيء من أوصاف الجنة، والعكس يذكر الجنة وما أعد لعباده الصالحين ثم يردف ذلك بذكر النار وما أعده فيها للمجرمين، ومن ذلك قول الحق سبحانه: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ

فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ
﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ
﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾
[سورة الزخرف:٦٨-٨٠].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾
مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ
وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾
وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾
وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾
لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾

[سورة الواقعة: ١٠-٤٠]، هذه بعض الآيات التي ورد فيها ذكر بعض أوصاف الجنة أو شيء من نعيمها، وهي كثيرة.

ومع ذا قليل من يجد ويسارع في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

ونعلم أن نار جهنم في الآخرة هي دار الكفرة والمشركين، وأن كل عاص لله جَلَّجَلَالُهُ سيعذب في نار جهنم على قدر معاصيه إذا كان موحدًا ثم يخرج منها، ولكن هذه النار ليست كنار الدنيا، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا، من حر جهنم**»، قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله قال: «**فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها**»(١).

فحرها شديد وقعرها بعيد، وقودها الناس والحجارة، طعام أهلها الزقوم وشرابهم الصديد، ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، برقم (٢٨٤٣).

﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الدخان:٤٣-٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الواقعة:٤١-٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ

﴿٣٧﴾ [سورة الحاقة:٢٥-٣٧]، هذه بعض الآيات التي ورد فيها ذكر بعض أوصاف نار جهنم أو شيء من عذابها، وهي كثيرة.

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(١).

وعَنِ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لو أَنَّ قطْرَةً، مِنْ زَقُّومِ جَهَنَّمَ أُنزِلَتْ على أَهْلِ الأرض أَفسَدَتْ على النَّاس معايِشَهُم»(٢).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»(٣).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فِي تَعْظِيم خلق أهل النَّار خمس فَوَائِد:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، برقم (٢٨٤٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٢)، برقم (٣٤١٤٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٥١).

إِحْدَاهُنَّ: زِيَادَة عَذَابهمْ؛ لِأَنَّهُ كلما عظم الْعُضْو كثر عَذَابه لاتساع محَال الْأَلَم.

والثانية: لتشويه الْخلقَة.

والثالثة: ليزدحموا، فَإِن الازدحام نوع عَذَاب، كما قال تعالى: ﴿مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة إبراهيم:٤٩].

والرابعة: ليستوحش بَعضهم من بَعضهم، فَإِن الْأَشْخَاص الهائلة المستبشعة عَذَاب أَيْضًا.

وَالخامسة: أَن يكون جَمِيع أَجزَاء الْكَافِر الَّتِي انفصلت مِنْهُ فِي الدُّنْيَا حَال كفره أُعِيدَت إِلَيْهِ لتذوق جَمِيع أَجْزَائِهِ الْعَذَاب"[1].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مسيرة ثلاث» هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وكل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به"[2].

هذا بعض ما في النار من أوصاف، وبعض أوصاف الجنة والفوز الحقيقي هو في النجاة من النار ودخول الجنة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٧٥)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٨٦).

ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

[سورة آل عمران:١٨٥].

نعلم هذا ولكن لا نرى عملًا للجنة ومسارعة في الطاعات كما ينبغي، وندعي الخوف من النار ولكن أين الحذر منها؟

وأين العمل الذي يكون سببًا في نجاتنا منها؟

قال خليد العصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدًا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملًا، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا فعلى ما تعرجون، وما عسيتم تنظرون؟

الموت فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر.

فيا إخواتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا"(١).

فالسعيد من عمل لما بعد الموت، واجتهد في طاعة الله سبحانه، وأقلع عن الذنوب والمعاصي، وعَلِمَ عِلْمَ يقين بأنه غدًا سيكون من سكان تلك القبور الموحشة، المخيفة، كان عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا وقف

(١) صفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/ ١٣٦).

على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه**»، قال: وقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»(١).

أخي الحبيب: إن أحسست بغفلة وتكاسل عن الطاعة فعليك بزيارة تلك الدور التي قد انتقل إليها أحبة وأصحاب وأصدقاء وجيران، قم بزيارتهم والسلام عليهم، فإن زيارة القبور تذكركم الآخرة، فتلين قلوبكم وترجع إلى ربها جَلَّوَعَلَا، فتنشط للعبادة والطاعة، تأمل أحوالهم وكيف صاروا؟ وقل لنفسك: أنت غدًا بينهم.

ويروى أن أحد العُبَّاد وقف على قبر صاحب له كان يألفه فأنشد:

ما لي مررت على القبور مسلمًا ... قبر الحبيب فلم يرد جوابي

أحبيب ما لك لا تجيب مناديًا ... أمللت بعدي خلة الأصحاب.

فأجيب عن الميت:

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، برقم (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٥٦٢٣).

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب

أكل التراب محاسني فنسيتكم ... وحُجبت عن أهلي وعن أصحابي

وتمزقت تلك الجلود صفائحًا ... يا طالما لبست رفيع ثيابي

وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤًا ... ما كان أحسنها لرد جوابي

وتفصلت تلك الأنامل من يدي ... ما كان أحسنها لخط كتابي

فعليكموا مني السلام تقطعت ... عني وعنكم خلة الأصحاب[1].

أخي الكريم: فليكن الموت نصب عينيك، وليكن لك فيمن مضى عبرة وعظة.

فأكثر من ذكره، وتذكر أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كتبه على كل إنسان، فإن ذكر الموت دواء للقلوب، وموقظ لها من الغفلة، وقد حثنا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذكره كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أكثروا ذكر هادم اللذات -يعني الموت-**»[2]، فما غفل عن ذكره إنسان إلا غوى.

---

(١) ينظر: المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية، للسفيري (٢/ ٧٧)، وحدائق الأولياء، لابن الملقن (٢/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ذكر الموت، برقم (٢٣٠٧)، والنسائي، كتاب الجنائز، كثرة ذكر الموت، برقم (١٨٢٤)، وابن

واعلم بأن الدنيا مهما عظمت فهي حقيرة، ومهما طالت فهي قصيرة، فهب أنك عمرت السنين وملكت الدنيا بأسرها، أليس المصير معلوم ومحتوم؟ كتبه الحي الذي لا يموت على كل نفس، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرحمن:٢٧].

ولن تخرج منها إلى كما جئت إليها، جئت عريان لا تملك شيئًا، وستخرج مجردًا عن تلك الملابس التي كنت تتجمل بها، وتلف بالكفن، ثم توضع في المكان الذي قيل لك: (أنت غدا بينهم).

فالسعيد من أحسن العمل.

والعاقل من اتعظ بغيره.

نسأل الله عظيم المنة أن يمنَّ علينا بالمغفرة والرحمة، وأن يغفر لنا ولسلفنا من الأحبة والأصحاب، ولجميع المسلمين، وأن يعفو عنا

ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم (٤٢٥٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٤٣٤)، وقال: حسن صحيح في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٣٣٣).

وعنهم، وأن يكرم نزلهم، ويتجاوز عنهم، وأن يجعل قبورهم روضة من رياض الجنة لا حفرة من حفر النيران.

ونسأله أن يعيننا على طاعته، وأن يختم لنا بالحُسنى، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهار، وصحابته الكرام، وسلم تسليمًا كثيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ أبو عبدالله

محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي.

غفر الله له ولوالديه وأزواجه وإخوانه وذريته والمسلمين.

ليلة الأحد الخامس من شهر ربيع الأول لعام ١٤٤٦هجرية.